المحاضرة التاسعة:

الفنون النثرية: المقالة

تمهيد.

1. تعريف المقالة.
2. مراحل تطور فن المقالة.
3. أغراض المقالة وخصائصها الأسلوبية.

المحاضرة التاسعة:

الفنون النثرية: المقالة

تمهيد: من العوامل التي أثرت في النهضة العربية الحديثة ظهور الطباعة في الشام فقد تأسست أول مطبعة أمريكية ببيروت سنة 1834 ثم المطبعة اليسوعية 1848 أما في مصر فقد اشترى محمد علي مطبعة نابليون التي أحضرها خلال حملته والتي كانت النواة الأولى لمطبعة بولاق الشهيرة، ثم أنشأت بعدها عدّة مطابع كان لها الدور الكبير في طبع الكتب، وتأسيس الصحافة فقد أنشأت أول صحيفة مصرية عام 1828 بعنوان "الوقائع المصرية" وجاءت بعدها صحف أخرى، ساهمت كلّها في ظهور فن المقال.

1. تعريف المقالة: المقالة لغة تعني القول وفي الاصطلاح تعني البحث القصير في العلم أو الأدب أو السياسة أو الاجتماع... تتناول جانبا من جوانب موضوع ما، ويقدّم للقارئ بطريقة مشوقة، تعتمد على الحكاية والمثل والإشارة إلى جانب المادة التحصيلية[1].

وقد ارتبط ظهور المقالة كما قلنا سابقا بظهور الصحافة، لأنّ هذه الأخيرة تتكون من مجموعة مقالات متنوعة، تقدم للقارئ قصد الإطلاع على مختلف القضايا التي تعالج الراهن، وهذا ما يجعلنا نؤكد على أنّ المقالة هي قطعة نثرية متوسطة الطول تكتب بأسلوب يتسم بالسهولة والبساطة والبعد عن التعقيد، كونها تعالج موضوعا واحدا يُقرأ من زاوية معينة. أما عن العلاقة التاريخية بين المقال والعرب، فلم يكن في تراثنا العربي جنسا فنيا يسمى المقال بمواصفاته المعاصرة، وأنّ ما وُجد في تراثهم القديم هو الرّسالة[2].

2. م ارحل تطور فن المقالة: مرّت المقالة في سياق تطوّرها التاريخي بأطوار متعاقبة يمكن حصرها في أربعة أطوار:

أ. الطور الأول: يمثل هذا الطور كتّاب الصحف الرسمية إذ يمتد حتّى الثورة العرابية، ومن أشهر الذين برعوا في هذا النوع: رفاعة رافع الطهطاوي في جريدة (الوقائع المصرية) ومحمد

---

[1] ينظر، عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 2113، ص291. [2] ينظر، حامد حفني داود: تاريخ الأدب الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص158.

أنسي في (روضة الأخبار) وعبد الله أبو سعود[*] في (وادي النيل) وقد ظهرت المقالة على أيديهم بصورة يغلب عليها عنصر الصنعة اللفظية والزخارف المتكلفة أما المواضيع التي تطرقت إليها فكانت سياسية بالدرجة الأولى ثم اجتماعية، فرفاعة رافع الطهطاوي كان رائدا

في الترجمة والتعليم والصحافة ففي عام 1841 عين رئيسا لتحرير جريدة الوقائع المصرية، وقام بتعديل نمط الكتابة بها فبعد أن كانت اللّغة التركية توضع على اليمين واللّغة العربية على اليسار قام بتبديل أماكنهما باعتبار اللّغة العربية هي الأهم فوضعها على اليمين وجريدة

الوقائع المصرية أصدرت بأمر من محمد علي عام 1828 ولم تكن متوفرة لكلّ الطبقات إذ كانت مقتصرة على النخبة فكانت تصدر ستمائة عدد في اليوم، تهتم بنشر أخبار الجيش فقط فحوّلها الطهطاوي إلى الاهتمام بالمواضيع الثقافية والسياسية والاجتماعية والإقتصادية

فعلا شأنها واشتهرت خاصة بعد سنة 1851[1] ونظير هذه الجهود العلمية التي بذلها الطهطاوي في كتابة المقالة عدّه النقاد رائد التنوير في عصر النهضة الأدبية والفكرية، لأنّه كان موسوعة علمية من الطّراز الفريد.

ب. الطور الثاني: تميز هذا الطور بظهور المقال الإصلاحي الذي عكس الجهود المضنية التي بذلها جمال الدين الأفغاني بروحه الثورية ونشاطه الإصلاحي وكذا تلميذه محمد عبده ومن الكتّاب في هذا الطور أيضا نجد: أديب إسحاق وعبد الرحمان الكواكبي وعبد الله النديم.

يقول محمد عبده في إحدى مقالاته الإصلاحية: "وكنا نؤمل أن المنبج يفيق بشم روح النشادر، وأنّ هؤلاء يهتدون إذا ارتفعت الموانع وأقبلت البشائر، ويقومون من غفلتهم إذا قام من يوقظهم، ويخرجون عمّا هم فيه إذا نادى بهم من يعظهم ولكن تعذّر ذلك الأمر منهم في

زمان جرى فيه سيل العلوم حتى عمّ أنحاء الكرة على العموم وهم فيه غرقى من حيث لا يشعرون، ووقع فيه الارتباط بيننا وبين الأمم المتمدّنة ورأينا ما هم عليه من الأحوال الحسنة، وظهر لنا التوازن بينها وبين أحوالنا الهجنة كثروتهم وفاقتنا، وعزّتهم وذلّتنا وقوّتهم وضعفنا وقدرتهم وعجزنا وصولتهم وانهزامنا وغير ذلك من المزايا والرّزايا التي لا تع د وبها يعتد"[2].

---

[*] عبد الله أبو سعود صحفي ومترجم وشاعر وأديب، ولد عام 1821 تتلمذ على يد رفاعة رافع الطهطاوي، شارك في تحرير مجلة روضة المدارس، عمل قاضيا وأستاذا، توفي سنة 1878.

[1] ينظر، محمد سليمان: رفاعة رافع الطهطاوي، رؤية من قريب، مكتبة الإسكندرية، ص4. [2] محمد عبده: الأعمال الكاملة، ج3، ص18.

فكانت هذه المقالة وغيرها قد تصدّت أنذاك إلى نقد العادات الاجتماعية ومهاجمة الأوضاع السياسية وكان لمقاومة الاستعمار في البلاد العربية أثر كبير في نمو المقالة السياسية وتطورها، إذ اتّخذ منها السياسيون والقادة وسيلة للاتّصال بجمهورهم.

وقد اختلف أسلوب المقالة باختلاف الظروف السياسية التي كانت تواجهها فعندما يكبّل المستعمرون أقلام كتّابها كانوا يلجأون إلى أسلوب المداراة أو الإيحاء والتلميح وعندما يطلقون لهم بعض الحرية في التعبير يلجأون إلى الهجوم العنيف من غير تحفظ، كما تتميز المقالة السياسية بالبعد عن التكلف وسهولة الألفاظ ووضوح الفكرة والعمل على إثارة الحماسة، وتغليب الفكرة وذكر البراهين والحجج.

ج. الطور الثالث: تميّز هذا الطور بظهور الصحف الحديثة، التي تحمل ملامح التّجديد في المدرسة الصحفية أثناء الاحتلال الإنجليزي، ولوجودها في هذه السياقات التاريخية فقد كانت مهّمتها التواصل مع الشعب ومخاطبته في قضايا وشؤونه الوطنية ومن روادها مصطفى كامل(*) والشاعر خليل مطران.

فالأول -مصطفى كامل- فرغم قصر حياته التي دامت أربعة وثلاثون سنة، فقد كانت كلّها نشاط ونضال ومناهضة للاستعمار، فكان من المؤسسين لجريدة اللّواء ومن المنادين إلى إنشاء جامعة إسلامية، وعرف بدوره الكبير في مجالات النهضة مثل نشر التعليم لإيمانه بأنّه الوسيلة الوحيدة لإخراج هذه الأمة من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وكذا إنشاء الجامعة الوطنية، كما عُرف بوطنيته المخلصة في حبّ الوطن كيف لا وهو القائل لو لم

أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا، يقول في إحدى مقالاته: "لا شيء يرفع حال مقام الوطنية في بلادنا مثل إحياء ذكرى الرجال الذين أخلصوا في خدمتها وقضوا أعمارهم في العمل لإعلاء شأنها وتحقيق امالها، ولا شيء يميت الوطن والوطنية مثل داء النسيان في أمّة وجهلها لتاريخها وعدم تقديرها للرجال المخلصين لخدمتها"([1]).

أما الثاني -خليل مطران- وقد سبق الحديث عنه في الدروس السابقة في محور الشعر، فقد كان له في الصحافة جولات كثيرة، فقد عمل محررا في جريدة "الأهرام المصرية" ثم تركها ليصدر مجلة "الجوانب المصرية" التي حوّلها إلى جريدة يومية تهتم بالشعر والتاريخ

(*) مصطفى كامل (1874-1918): كاتب مصري وزعيم سياسي، بعد عودته من فرنسا سطع نجمه في عالم الصحافة وازدادت شهرته بعد هجوم الصحافة البريطانية عليه.

[1] نشأت البديهي: مصطفى كامل شاب من مصر، كتاب الجمهورية، دت، ص18.

والنقد الأدبي، وهذا ما جعله يكتب عدّة مقالات أدبية ونقدية عبر المجلّات والصحف اليومية، فأخذ بنشر في مجلة: الهلال والمقتطف والطريق وسركيس والرسالة وغيرها من المجلّات المهتمة بعالم الأدب، إذ يقول في إحدى هذه المقالات: "إنّي لما رأيت الشعر لا يزال على ما كان عليه من أقدم زمان لم يتجدّد ولم يتطور، بل نأخذ القديم وننشئ الجديد على طرازه، واذا أدخلنا عليه إيحاءات العصر جاءت متكلفة، قلت إنّ التجديد يجب أن يشمل الأساس، وكان أمامي صعوبات شتى لبلوغ هذه الغاية، ولكنّي اعتزمت اقتحامها في شيء من المداورة يساعد طبعي عليه، رأيت المداورة خير من المباشرة في تحريك شيء تركّز جدّا في نفوس النّاس وعقائدهم... وهكذا أحببت أن يبقى الشعر كما كان من ناحية البحور والروي والأساليب التي أحبّها الناسُ، من جهة معرفة اللّغة بحق، وأن أدخل مقابل الوحدة على القصيدة"[1].

ومن خصائص المقالة في هذا الطور هو استخدام العبارات الجزلة والألفاظ المختارة الموحية مع تركيزها على عمق الفكرة ووضوحها.

د. الطور الرّابع: إنّ الأحداث التي عرفها العالم العربي في بداية القرن العشرين وقيام الحرب العالمية الأولى، وانتشار حركات الوعي السياسي والوطني في البلدان العربية، أدّى إلى ظهور الكثير من الصحف والمجلّات، التي تركت بصماتها وأثرها في الحياة الأدبية عامة

وفي المقالة خاصة، فظهرت جريدة السّفور 1915 وجريدة الاستقلال 1921 وجريدة السياسة 1922 التي أسّسها محمد حسين هيكل وجريدة الأسبوع لإبراهيم المازني عام 1925. وفي الجزائر تؤسس جمعية العلماء المسلمين مجموعة جرائد منها: المنتقد، الشهاب والبصائر هذه الأخيرة التي يكون عمرها أطول من سابقاتها، وقد اتّسمت مقالات هذا الطور بالنضج الفنّي والفكري فجاء أسلوبها مركّزا ودقيقا بعيدا عن التكلّف والصنعة اللفظية، واليك نموذجا من أدب المقالة للمازني إذ يقول: "يستغرب كثير من النّاس رأي المرأة في الجمال، وما يبدو أحيانا من شذوذها في ذلك عمّا ألفه الرجال شذوذا لا مجال للشك فيه، ويُحيلون أكثر ما يلاحظونه من هذا على الزّيغ في الفطرة أو السّقم في الذوق أو نقص في التهذيب أو غير

هذا وذلك ممّا يرجع إلى نشأة المرأة والأوساط التي عاشت في ظلّها، ولا ريب في أنّ لهذا تأثيره إلى حدّ ما، ولكن هذا لا يحل المعضلة، وما أسهل أن ننفض الأكفّ من كلّ مسألة

[1] خليل مطران: مجلة الطريق، المجلد الرابع، العدد 14، ص13.

بأن تحيل على اختلاف الأذواق والفطر صحّة وسقما، إذن لما بقي شيء يحتاج إلى نظر وتفكير"[1]. من مقال بعنوان الجمال في نظر المرأة.

3. أغ ارض المقالة وخصائصها الأسلوبية: إن التقدّم الحضاري الذي عرفته البلاد العربية والذي مسّ المجالات الثقافية والأدبية والسياسية والاجتماعية قد أدّى إلى ظهور أنواع متعددة من المقالات فكان منها:

- **المقالة السياسية:** وقد اتخذت من الصحافة مسرحا لها، ولم تجرؤ الصحافة العربية في بداية ظهورها أن تتناول موضوعات سياسية أو اجتماعية، حتّى إذا جاء جمال الدين الأفغاني إلى مصر عام 1871، وبدأت حركته السياسية الواعية وانضم إليه جماعة من المصريين، أخذوا يحررون مقالات صحفية في نقد العادات الاجتماعية ومهاجمة الأوضاع السياسية، وكان لمقاومة الاستعمار في البلاد العربية دور في تطوير المقال السياسي ومثال ذلك قول الشيخ البشير الإبراهيمي[*]: "... كيف لا تنسى العدل أمّة لبثت في ظلمات الظلم أحقابا وعقبت في ظلّ بحمومه أعقابا؟ أم كيف تذكره بعد أن مح ْت آيته آية السّيف، فلم تنعم منه بإلمامة الطيف؟

كيف يجد العدل مجالا بين حاكم لا يسأل عمّا يفعل وبين محكوم يُسأل عما لم يفعل؟

وكيف يجد العدل سبيلا إلى نفوس زرع فيها الاستعمار -أول ما زرع- بذرة احتقار المسلم الجزائري ثم ربّاها -أول ما ربى- على الاستعلاء على المسلم الجزائري، ثم علّمها -أول ما علم- هضيمة المسلم الجزائري وتجريده من أسباب القوة والحياة بكلّ وسيلة، وترويضه على الذلّ حتّى يطمئن إليه، ويعتقد أنّه كذلك خلق أو لذلك خُلق، فإذا سُلب ما له عدّ سلامته من الضرب غنيمة، واذا ضرب جسمه عدّ نجاته من ضرب العنق منحة كريمة واذا تأوّه للألم النّفسي أو البدني عدّ التأوّه منه جريمة، إنّ الاحتقار هو الأساس الخلقي الذي وضع عليه الاستعمار قواعده وبنى عليه قوانينه... ولكنّه بعد أن تراءى العيانان عيان الفاعل وعيان القابل، لم يجد فينا قابلية الاحتقار رأياها لنا عرق على م الزمن أصيل وارث من محمد أثيل

---

[1] عبد القادر المازني: حصاد الهشيم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، 2112، ص81.

[*] البشير الإبراهيمي: رائد من رواد النهضة الفكرية في الجزائر، ولد عام 1889 في قرية أولاد إبراهيم، رأس الواد، درس في الجزائر ثم استقر زمنا في المدينة المنورة، عاد إلى الجزائر وأسس مع الشيخ عبد الحميد بن باديس جمعية العلماء المسلمين وظل يناضل ضد الاستعمار الفرنسي حتى توفي عام 1965.

فانقلب ذلك الاحتقار على مرّ الزمن حقدا يصهر الجوانح"[1] عنوان المقال حدثونا عن العدل فإنّنا نسيناه.

وتظهر من خلال هذا المقطع تلك الخصائص الفنّية الخاصة بكتابة المقال ومنها الإلمام بالفكرة المراد إبرازها والحديث عنها ومناقشتها مناقشة علمية منطقية متسلسلة تأخذ

بيد القارئ من الأبسط إلى البسيط إلى المركب فتأتي في شكل هرمي يوصل الفكرة إلى ذهن القارئ، فيعمل بها ويستيقظ من غفلته، لغّتها عربية فصيحة تُفهم من طرف الجميع ويمكن أن نضيف للمقال السياسي مصطلح آخر هو الإصلاحي فهناك مقالات سياسية إصلاحية كما رأينا مع عبد الرحمان الكواكبي في مقال عن الاستبداد وآثاره إذ يقول: "ما أشبه المستبد في نسبته إلى رعيته بالوصي الخائن القوي يتصرف في أموال الأيتام وأنفسهم كما يهوى ما داموا ضعافا قاصرين، فكما أنّه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم كذلك ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم، ولا يخفى على المستبد مهما كان غبيا أن لا استعباد ولا اعتساف ما لم تكن الرعية حمقاء تخيط في ظلام جهل وتيه عماء، فلو كان المستبّد طيرا لكان خفاشا يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل ولو كان وحشا لكان ابن آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل"[2].

فالمقال يعكس تصورات صاحبه الفكرية والمامه بالموضوع المطروق، كما يعكس أيضا الشكل الأسلوب الذي صيغ فيه، وكذا المعجم اللّغوي الملائم للقضية المطروقة، وهذا ما يجعل القارئ مشدودا إلى الموضوع فهما وتمتعا.

- **المقالة الاجتماعية:** لقد عبّر الكثير من الكتّاب في العصر الحديث في مقالات كتبوها عن مشكلات مجتمعاتهم وحاولوا أن يتّخذوا منها وسيلة لإصلاحه فتحدثوا عن مشكلات الفقر والجهل والدين والعادات والتقاليد والمرأة والأسرة، وقد غذى الصراع الفكري بين المجدّدين والمحافظين حول القيم الاجتماعية والأخلاقية، موضوعات المقالة الاجتماعية ما

جعلها تحظى باهتمام لدى جمهور واسع، يقول يوسف نجم: "وقد احتدم الصراع في مصر بين القديم والجديد في فترة ما بين الحربين وتجلّى هذا الصراع واضحا في العادات والأزياء وفي الأدب بمختلف فنونه وأساليبه فلا عجب إذا رأينا أكثر كتّاب المقالة عندنا كأحمد أمين

---

[1] البشير الإبراهيمي: عيون البصائر مجموع المقالات التي كتبتها الجريدة البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص412.

[2] عبد الرحمان الكواكبي: طبائع الاستبداد، ص65.

والمازني وطه حسين والعقّاد والرّافعي يخوضون هذه المعركة في مختلف ميادينها، فيتحيّز أحدهم للقديم ويتصدى له الآخر برد دعواه ويبطل أراءه وتمثلت هذه المعركة على صفحات الرسالة والثقافة في ميدان الأدب"[1] وخير مثال على هذا النوع من المقالة نجد مقالة أحمد أمين وعنوانها "سلطة الأباء" إذ يتحدث فيها أولا عن ذلك الزمان الذي كان الأب هو الامر الناهي في الأسرة، والحاكم المطلق في جميع شؤون أفرادها من دينية ودنيوية، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن هذا الزمان الذي صار فيه الأبناء أباء والمرؤوس رئيسا والرئيس مرؤوسا، إنّها باختصار تعالج مشكلة المجايلة وكيفية تعايش جيل الأباء مع جيل الأبناء، ومعرفة ما هي الحدود التي يقف عندها كلّ جيل ولا يتجاوزه ويعطي في الأخير الحل الأمثل لمثل هذه الصراعات الاجتماعية، إذ يحوّلها من ظاهرة سلبية إلى ظاهرة إيجابية تقوم على محاولة الإضافة المفيدة للأسرة ومن ثمّ للمجتمع.

وتتميّز المقالة الاجتماعية بوضوح الفكرة وتصوير المشكلة ومناقشتها في هدوء وروية، وكثيرا ما يلجأ كتّاب هذا النوع من المقالة إلى ذكر الأمثلة التاريخية أو الواقعية للاستفادة منها، وقياس الوقائع القديمة مع الوقائع الجديدة، قصد الخروج بأحكام سديدة تضع الحل للمشكلات، كما تحتوي المقالة أحيانا على النصح أو التهديد أو الرجاء والأمل.

- **المقالة الأدبية:** يلجأ الأدباء إلى أسلوب خاص يصورون فيه مشاعرهم نحو الأشياء ولكلّ أديب وجهة نظره في الحياة، وله انطباعات معينة نحو بعض الأحداث أو المناظر، يتناول الحديث عنها لا لهدف سياسي أو اجتماعي، وانّما يهدف إلى إبراز قيم جمالية وفنّية دون مراعاة للموضوعية أو مطابقة الواقع.

ومن كتّاب المقالة الأدبية العقّاد وحسن الزيّات وطه حسين ومي زيادة وأحمد أمين ونموذج هذا المقال قول طه حسين في مقال من مقالات حديث الأربعاء: "لم يخل عصر أدبي في حياة الأمم التي كان لها نصيب من الأدب وحظ في في اتقان القول واجادته من هذه المسألة "مسألة القدماء والمحدثون" ولم تظهر هذه المسألة في عصر من العصور أو عند أمّة من الأمم إلّا أحدثت خلافا عظيما وجدلا عنيفا وقسّمت الأدباء على اختلاف فنونهم الأدبية أقساما ثلاثة: قسم يؤيد القدماء تأييدا لا احتياط فيه وقسم يظاهر المحدثين مظاهرة لا تعرف اللّين وقسم يتوسط بين أولئك هؤلاء، ويحاول أن يحفظ الصلة بين قديم السنة الأدبية وحديثها وأن يستفيد

[1] محمد يوسف نجم: فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1966، ص118.

من خلاصة ما ترك القدماء ويضيف إليها ما ابتكرت عقول المحدثون من ثمرات أنتجها الرقي، وأثمارها تغيّر الأحوال وتبدّل الظروف كذلك كانت الحال قديما وكذلك كانت الحال في هذا العصر الذي نعيش فيه وفي الحق أنّ الاختلاف بين القديم والمحدث ليس مقصورا

على الأدب وحده وانّما هو يتناول كلّ شيء، يتناول الفنّ والعلم ويتناول الفلسفة ويتناول الحياة نفسها في فروعها المختلفة المادية"[1].

فقد اتّخذ طه حسين الملتزم من أدبه خدمة مجتمعه وانسانيته دون أن يذوب في أنواع المقالات الأخرى لأنّ القالب الذي يميّز أسلوبها يجعلها نمطا مستقلا ومن خصائص المقالة الأدبية هو الاعتماد على الخيال والتّصوير واستخدام العبارات الجزلة والألفاظ المختارة الموحية وتركز اهتمامها على عمق الفكرة ووضوحها وسلامة اللّغة وصحّتها.

- **المقالة النقدية:** هذا النوع من المقالات يرتبط بالأدب فيحلّله ويقومه ويذكر ما فيه من محاسن وعيوب وكثيرا ما تتناول المقالة النقدية ديوان شاعر أو قصيدة منه أو قصة أو مسرحية أو بحثا في الدراسات الأدبية، أو أيّ عمل أدبي آخر وتطبق عليه نظريات النقد

وتعطيه أحكاما، ولذلك وجدنا للمقالة النقدية جانبان: أحدهما موضوعي وذلك عندما يستخدم الناقد عرض نظرية في النقد، وجانب ثاني عندما يصوّر فهمه الخاص لفكر الأديب أو أسلوبه أو خصائصه الفنية.

وقد أدّت هذه المقالة دورا عظيما في توجيه الأدب والنهوض به ومن أشهر كتّابها طه حسين والعقّاد وحسن الزيّات ومحمد مندور، ومحمد غنيمي هلال ومحمد يوسف نجم وميخائيل نعيمة الذي نقتطف من كتابه الغربال هذا النموذج من المقال النقدي: "قد يسأل

البعض: وأ ي فضل للناقد إذا كان ْت مهمّته لا تتعدى الغربلة؟ فهو لا ينظم قصيدة بل يقول لك عن القصيدة الحسنة أنّها حسنة وعن القبيحة إنّها قبيحة ولا يؤلفّ رواية بل ينظر في رواية ألّفها سواه ويقول أعجبني منها كذا ول ْم يعجبني كذا.

فأجيبهم وأي فضل للصّائغ الذي تعرض عليه قطعتين من المعدن متشابهتين فيقول في الواحدة إنّها ذهب وفي الأخرى إنّها نحاس؟ أو تعطيه قبضة من الحجارة البلورية البرّاقة فينتقس بعضها قائلا: هذا ألماس ويقول في ما بقي هذا زجاج؟ إنّ الصائغ لم يخلق الذّهب ولا أوجد الألماس ل ْم يخلقهما كما خلق الله العالم من لا شيء لكنّه خلقهما لكلّ من يجهل

[1] طه حسين: حديث الأربعاء مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2112، ص328-329.

قيمتهما ولولاه لظلّ الذهب نحاسا والألماس زجاجا أو العكس بالعكس وكم هم الذين يميّزون بين الألماس وتقليد الألماس؟

إذ لم يكن للنّاقد من فضل سوى ف ضل ردِّ الأمور إلى مصادرها وتسميتها بأسمائها لكفاه ذلك ثوابا، إلّا أنّ فضل النّاقد لا ينحصر في التّمحيص والتثمين والتّرتيب فهو مبدع ومولّد ومُرشد مثلما هو ممحّصٌ ومثمِّن ومُرتّب"[1].

فأسلوب هذه المقالة التي تحدّد عن وظيفة النّاقد قد اتّسم بلغة تخاطب العقل والفكر، ساعية إلى إبّانة الحقيقة مع الدقة في تحديد المفاهيم، ولذلك كانت عباراته أكثر وضوحا

وأشدّ ح صرا للمعاني وأعظم اعتمادا على السهولة في التركيب والبعد عن الخيال.

بالإضافة إلى هذه الأنواع الأربعة، فإنّ هناك مقالات أخرى تتناول قضايا فلسفية وتاريخية وفنية وتسمى بأسماء مواضيعها.

ما نستنتجه من كلّ ما سبق أن فنّ المقال قد لقي استحسانا لدى الكتاب والمشتغلين في هذا الحقل لإدراكهم بأهميته البالغة في واقع وحياة الأمم والمجتمعات وادراكهم لدوره الكبير في معالجة شتى القضايا والمشكلات، من أجل التغيير والإصلاح وتطور المقال في الوطن العربي قد مرّ بظروف تاريخية وسياسية ساعدته في النمو والرقي والوصول إلى المرتبة التي هو عليها الآن. سواء من ناحية المواضيع الهامة والمفيدة والمؤدبة للرسالة الحضارية المنوطة بها أو من حيث اللّغة الراقية والرائعة.

[1] ميخائيل نعيمة: الغربال، دار نوفل للطبع والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الحادية عشر، 1991، ص17-18.